ماكس فيبر و النظرية البيروقراطية

تمهيد

ماكس فيبر (Max Weber, 1864-1920) عالم اجتماع واقتصاد وفيلسوف ألماني، يُعتبر من الآباء المؤسسين لعلم الاجتماع الحديث إلى جانب دوركايم وماركس. عمله حول البيروقراطية يُشكل أحد أهم الإسهامات النظرية في فهم التنظيم الحديث والدولة الحديثة والعقلنة الاجتماعية.

الإشكالية المحورية:

"كيف يمكن فهم صعود العقلانية الحديثة والأشكال التنظيمية التي تجسدها، وما هي عواقبها على الإنسان والمجتمع؟"

لقد اخدت البيروقراطية في المجتمع الأوروبي مهمة تغيير التقاليد الاجتماعية و الثقافية و مثلت "الأدارة الثقافة المضادة التي لاقت ترحيبا خصوصا بين الشباب و المتعلمين و كانت بمثابة معول هدم يدك متاريس الامتيازات الخاصة و هيكل الطبقية و معها العوائق المقامة امام الفرص التي تؤكد على الميلاد و الثراء و تعليم الصفوة التي وضعت في مسار الفرد القادر

نشأت المؤسسة البيروقراطية نتيجة منطقية لرد الفعل الإيجابي للمجتمع الصناعي الذي دعا الى توسيع الحكومة في جميع انشطة المجتمع بشكل عملي

كان ماكس فيبر متابعا للتاريخ ...و لاحظ ان تطور المجتمع رهين تطور البيروقراطية و تطور هذه الأخيرة مرتبط بمدى نجاحها في تفريغها من "العنصر الإنساني" و كلما نجحنا في تنقية العمل الرسمي من العناصر الشخصية و اللاعقلانية و العاطفية ...اقتربنا من البنية المثالية للبيروقراطية .

ظهرت اهتمامات ويبر Weber الرئيسية في دراسة المنظمات في اربع مجالات:

-1تحديد خصائص ظاهرة لكيان اطلق عليها مسمى (البيروقراطية)

-2وصف نمو هذه الظاهرة والأسباب التي تقف وراء نموها

-3عزل التغييرات الاجتماعية الملازمة

-4اكتشاف النتائج الناجمة عن المنظمة البيروقراطية

2-1 تعريف البيروقراطية

يعرف ماكس ويبر البيروقراطية على انها "ذلك التنظيم الضخم المتواجد في المجتمع السياسي المعقد و المتحضر لتحقيق أهداف الدولة و إخراج السياسة العامة الى حيز الواقع، ووضعها موضع التنفيذ و البيروقراطيون تعني أولئك الأشخاص العاملين في الأدارات الحكومية ،و اللذين تم اختيارهم بأساليب ليست وراثية يكونون فيما بينهم تنظيما هرميا تحكمه قواعد معينة و تحدد فيه الاختصاصات و الواجبات و المسؤوليات

البيروقراطية عند ويبر هي شكلا عقلانيا –قانونيا من التنظيم أدخل المبادئ الآلية في كل مجالات الحياة الاجتماعية .و تبين كتاباته كيف ان احترام النظام القانوني يؤدي في نهاية المطاف الى إيجاد مؤسسات صارمة مقيدة بالقواعد

"ان ما يبشر بنجاح البيروقراطية هو انها عقلانية و موضوعية و شاملة و هكذا فهي تقتضي ضمنا قابلية التنبؤ و الاتساق في تطبيق السلطة" .

ثانيا ان البيروقراطية ليست بنية اجتماعية معطاة تاريخيا انما هي سيرورة تاريخية من التشكل البيروقراطي يتوافق ودرجة التطور العلمي و الصناعي للمجتمع .

2-الأنماط الأساسية المتعلقة بالسيادة

اخد ويبر مبادئ توزيع السلطة و الحكم كمدخل لفهم البنية السوسيولجية للسيادة "ان بنية أي سيادة تجد طابعها السوسيولوجي أولا ضمن التصرف الذاتي في العلاقة العامة بين السيد و الاسياد و الجهاز ثم بين هذين الأخيرين و المحكومين و كذلك من خلال المبادئ الخاصة ل"التنظيم "أي مبادئ توزيع السلطة و الحكم .

اهتم ويبر بدراسة الأنماط الأساسية المتعلقة بالسيادة لسببين :

السبب الأول لكونها تبرز مختلف أوجه الممارسة الشرعية للسلطة والتي من خلالها يحكم ويبر على درجة تطور المجتمعات .

و السبب الثاني : في ضوء دراسته لسوسيولوجيا السيادة فسر المقاييس التنظيمية و البنيوية للتحليل السوسيولوجي للبيروقراطية الحديثة "اخد المجتمع الحديث يتميز بالترشيد العقلاني المتزايد لمجالات الحياة بما فيها الأنشطة السياسية و الدينية و

الاقتصادية لقد كانت الثورة الصناعية و تنامي الرأسمالية في نظر فيبر مؤشرا على توجه واسع نحو الترشيد.

وقد اطلق ويبر اسم الترشيد العقلاني على تنمية العلوم و تطوير الثقافة و نمو البيروقراطية ،و يعني الترشيد العقلاني في هذا السياق تنظيم الحياة الاجتماعية و الاقتصادية انطلاقا من مبادئ الكفاءة المرتكزة الى المعرفة التقنية و ما يميز الرأسمالية ليس الصراع الطبقي كما اعتقد ماركس بل تطور العلوم و البيروقراطية ...البيروقراطية باعتبارها السبيل الوحيد لتنظيم اعداد ضخمة من الناس على أساس الكفاءة

2-1الأشكال الرئيسية للسيادة

حدد ويبر ثلاث اشكال للسيادة

1- السيطرة الكاريزمية

التسليم بما هو خارق للعادة ...الايمان بالكاريزما ،أي الايمان بالوحي ،او الكرامة الإلهية التي يمنى بها الشخص او الايمان بالمخلصين و الأنبياء ،الابطال مهما كان نوعهم .

2-السلطة الشخصية

اما يخضع تطبيق الحكم الى سلطة شخصية و يمكن لهذه السلطة ان تجد أسسها في قداسة التقليد أي في العرف و ما تتضمنه العادة من طاعة لبعض الأشخاص المعنيين

3-السلطة في اطار من القواعد المقننة

الحكم يتم التعبير عنه في اطار نظام من القواعد المقننة (المتفق عليها مسبقا)و التي تجد قبولا باعتبارها قيما ملزمة عندما يرغب صاحب الأمر الاستناد اليها .هنا يجد صاحب السلطة نفسه مشرعا عن طريق مجموعة من القواعد المقننة و تكون سلطته مشروعة ما دامت تطبق بحسب القواعد المرسومة و بذلك تكون الطاعة ملزمة للقواعد و ليس للشخص الذي يمارسها

فالجوانب المعقدة للعلاقة بين القوة و الشرعية تمثل الأساس الذي تنهض عليه الأنماط المحددة للسلطة و النمط العقلاني الرشيد الذي تنتفي معه الابوية هو نمط

السلطة في اطار القواعد المقننة اين يحتكم الى القاعدة بدل الشخص الذي يمارسها،"ففعل الجماعة المنظم حسب مشاركة رشيدة لشكل السيادة يجد في "البيروقراطية "نمطه الخاص .اما فعل الجماعة المرتبط بعلاقات السلطة التقليدية فيمثله نمط السلطة الابوية و يقوم شكل السيادة الكاريزماتية على سلطة أشخاص حقيقية و ليست خاصة لسلطة العقل أو التقليد ...و النمط الذي يبدو لنا سائدا و اكثر عقلانية أي النمط الذي تعرضه علينا الادارة "البيروقراطية "الحديثة.

قام بارسونز بالتعمق في دراسة هذه الأنماط المحددة لبنية المجتمعات الحديثة في قبال المجتمعات التقليدية و حدد جملة من الثنائيات أهمها النوع مقابل الكفاءة حيث يتم اختيار الاشخاص في المجتمع التقليدي على أساس من هو الشخص و اسرته بينما يتم الاختيار الثاني على أساس تحصيل الفرد و كفاءته و أدائه كما يفترض نموذجيا في النظم البيروقراطية .

3-النموذج المثالي لماكس فيبر

من العناصر المهمة في منظور فيبر السوسيولوجي مفهوم النموذج المثالي هي نماذج مفهومية و تحليلية يمكن استخدامها لفهم العالم و قلما توجد هذه النماذج في العالم الواقعي و ربما لا توجد على الاطلاق ،و في الأغلب تتضح جوانب او ملامح قليلة منها في الواقع ...و في هذا السياق تكون الأنماط المثالية بمثابة نقطة مرجعية ثابتة و ماكان يعنيه فيبر ان النموذج يمثل صورة "صافية "لظاهرة ما و قد استخدم فيبر هذه النماذج المثالية لتحليل اشكال البيروقراطية و السوق .

و فيما يلي استعراضاً للأسس التي يقوم عليها نموذج ويبر:

1- مبدأ الاختصاصات الإدارية المنظمة عموما عن طريق قواعد

-ان هناك تقسيما محددا للإعمال الجارية بانتظام باعتبارها واجبات إدارية لازمة تخدم أغراض النمط الديمقراطي السائد

-ان الأوامر الضرورية لتحقيق هذه الواجبات ...محددة تماما بقوانين

-انتداب اشخاص عادة من دوي الاختصاص للتحقيق الدائم و المنظم لهذه الوجبات المقسمة و تنفيذ القوانين المطابقة لها

-هذه اللحظات الثلاث تمثل قاعدة /أرضية "الإدارة "البيروقراطية في المجال القانوني العام للسيادة و قاعدة "المؤسسة "البيروقراطية في المجال الاقتصادي الخاص و بهذا المعنى فان هذه المؤسسة لم تتطور حقا في اطار الجماعة السياسية و الكنيسة الا داخل الدولة الحديثة

المبدأ 2-مبدأ الترتيب الإداري و الطرق الرسمية

أي ان هناك نسقا نظاما مريب من مصالح تخضع لنظام أعلى و نظام اسفل

مبدأ3-يستند سير الوظيفة الى الأوراق الرسمية

-يعزل التنظيم الإداري مبدئيا المكتب عن المنزل المقر الخاص اذ يفصل العمل الوظيفي كدائرة منفردة ،تمتما عن مجال الحياة الخاصة

-يفصل أموال الوظيفة و ادارتها عن ملك الموظف الخاص

-المراسلة الرسمية منفصلة عن المراسلة الخاصة

البيروقراطية كما صورها ماكس ويبر تقوم على الفصل بين الاعمال الرسمية للموظف و بين الأعمال الشخصية الخاصة به التي يقوم بها في اطار علاقاته غير الرسمية ،ثم الحد من أثر العلاقات الشخصية بين أعضاء المنظمة و سيادة علاقات رسمية بعيدا عن العاطفة و التحيز و عدم الموضوعية و إعطائها الدور الأساسي في البناء الهيكلي للمنظمة البيروقراطية .

كما تعتمد على نظام هرمي من السلطة حيث الأدوار و الاحكام التنظيمية هي أسس الأفعال .و ترتكز القرارات المتعلقة بالموظفين على مبدأ الجدارة مما يدل على ان الخبرة والمعرفة و الأداء هي المعايير الرئيسية لتقييم الموظف .